Journal Of the Iraqia University (73-1) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الموسيقى الشعرية في شعر الأسر عند أبي فراس الحمداني مقاربة سايكونصية

م.م زينب خليل جابر

الجـــامعـة العـــراقـية / كلية الإعلام

Poetic music in the poetry of captivity by Abu Firas Al_ Hamdani Psychological approach

Assistant Lecture. Zainab Khaleel Jaber

Universityof aliraqia, College of Media

Email: Zainab.k.Jaber@aliraqia.edu.iq

الملخـــص

اهتمت الدراسات الحديثة بدراسة الشعراء ، وركزت في أغلب الأحيان على المشهورين منهم وبمناهج دراسة مختلفة ، قد لا يفي بعضها بالغرض ، وإعطاء صورة واضحة عن اتجاهات الشاعر وفنه ، فكان أبو فراس الحمداني واحدًا من هؤلاء الشعراء الذين تناولتهم الدراسات لكنها لم تتناوله بدراسة تفصيلية تبرز خصائص الموسيقى الشعرية في شعر الأسر لدى الشاعر أبي فراس في فترة هي أكثر فترات حياته شاعرية ، فكانت دراستنا دراسة نصية لقصائده التي قالها في الأسر ، والتي يعود خلود أبي فراس في الأدب إليها ، فهي خلجات وجدانية خالصة متسمة بالشعور الأليم والحنين إلى الوطن وقد لا يستطيع ناشر أن يشرح ما فيها من العواطف فهي من أرق أشعار أبي فراس وقد زادت لأدب نوعا طريفاً من الشعر الوجداني . لذا جاء هذا البحث في ثلاث مباحث تسبقهما مقدمة والتعريف بالشاعر وبموسيقاه الشعرية، المبحث الأول يتحدث عن القافية والمبحث الثاني يتحدث عن التصريع والمبحث الثالث يتحدث عن البحر ، وبعدها خاتمة حوت أبرز نتائج البحث ومن الطبيعي ما كان لهذه الدراسة أن تكتمل دون أن ترتكز على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة التي تقدم لها زاداً معرفياً متنوعاً**الكلمات المفتاحية** الموسيقى الشعرية ، شعر الأسر ، أبي فراس الحمداني ، مقاربة سايكونصية

Abstract

Interested in modern studies to study poets, and focused most often on the famous of them and different study methods, some of which may not meet the purpose, and give a clear picture of the trends of the poet and his art, Abu Firas Al-Hamdani was one of these poets who addressed the studies, but did not address it with a detailed study highlights the characteristics of poetic music in the poetry of families of the poet Abu Firas in a period is the most poetic periods of his life, our study was a textual study of his poems that he said in captivity , which returns the immortality of Abu Firas in literature to it, they Khaljat sentimental pure characterized by a painful feeling and nostalgia for the homeland may not be able publisher to explain the emotions are thinner poems of Abu Firas has skilled literature a funny kind of poetry sentimental So this research came in three sections preceded by the introduction and definition of the poet, the first section talks about rhyme and the second section talks about Al-Tasraa and the third section talks about the sea, and then the conclusion of the whale highlighted the results of the research and it is natural that this study would not have been completed without being based on a set of sources and references diverse that provide her with a diverse cognitive increase
Keywords: poeticmusic , familypoetry, Abu Firas Al_ Hamdani, Psychological approach.

المقدمة

اهتمت الدراسات الحديثة بدراسة الشعراء ، وركزت في أغلب الأحيان على المشهورين منهم ، وبمناهج دراسة مختلفة ، قد لا يفي بعضها بالغرض ، وإعطاء صورة واضحة عن اتجاهات الشاعر وفنه ، فكان أبو فراس الحمداني واحدًا من هؤلاء الشعراء الذين تناولتهم الدراسات لكنها لم تتناوله بدراسة تفصيلية تبرز خصائص الموسيقى الشعرية في شعر الأسر لدى الشاعر أبي فراس في فترة هي أكثر فترات حياته شاعرية ، فكانت دراستنا دراسة نصية لقصائده التي قالها في الأسر ، والتي يعود خلود أبي فراس في الأدب إليها ، فهي خلجات وجدانية خالصة ((متسمة بالشعور الأليم والحنين إلى الوطن وقد لا يستطيع ناشر أن يشرح ما فيها من العواطف فهي من أرق أشعار أبي فراس وقد غمرت الأدب نوعا طريفا من الشعر الوجداني)) (مهدي , ٩٥٥م ، ٤١٤) . وتبلغ أسريات أبي فراس ((ثلاثين قصيدة وخمس عشر مقطوعة تتناول فنون الشعر جميعها من تصوير حاله في الأسر واستعطاف سيف الدولة لفك أسره ، ومعاتبته على الإبطاء ، ومعاتبته أصدقائه ، والشكوى منهم لتنكرهم له في محنته كما تتضمن ألواناً من حنينه إلى موطنه وديارة وأهله ، والفخر بنفسه ، وبما قدم من بطولات قبل أسره ، وفي هذا تمتزج عزة النفس وآباؤه وتجلده بألمه وحسرته وأساه)) (القاضي ، ١٩٨٢م، ٣٣٨)يبدو أنه كان لابد لهذا الملك الشاعر أن يتألم لتجيش عاطفته ، فقد حركها أسره ، وزادها استثارة سوقه ذليلًا إلى سجن (خرشنة) ، فعاش في غربته محروما من كل لذة تعود أن يتمتع بها ، ليكون لأسره يد بيضاء على خلوده ، وعلى الأدب معا ، فلولا الأسر ما جرى شعره بتلك النفثات الرائعة ، ولا كتب اسمه في سفر الخلود ، فهو أمير شجاع أمضه الضيم بعد العز ، فأخرج ما في صدره من العواطف الإنسانية الجميلة التي نحس أنها فائضة من أعماق النفس معبرة عن همومه والآمه ، ناشرة نفحاتها الملوكية ، لذلك كان لزاما اتباع المنهج النفسي في دراسة موسيقاه ، وعليه كانت قراءتنا قراءة نصية سايكولوجية .

التعـــريف بالشـــاعر (اسمه ولقبه وكنيته) :هو الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي ، ولد لأبيه من أم بيزنطية سنة ٣٢٠هـ ولقبه أبا فراس وهي كنية الأسد رمزا لفروسيته المستقبلية ، وهو رمز حققته الأيام (ضيف (ب،ت) ٢٢٣) قُتل أبوه غدرًا وهو يخطو في سنته الثالثة فعنيت به أمه وأحضرت له المعلمين في صباه ولم يلبث ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة الحمداني أن اشترك مع الأم في العناية والرعاية فقام على تربيته فارسًا وأديبًا خير قيام إذ أعطاه لبعض المدربين يدربونه على الفروسية ، ولبعض المعلمين والمؤدبين من مثل ابن خالويه (ضيف(ب،ت)٢٢٤) .وسرعان ما ظهرت فروسيته ونجابته وهو في السادسة عشر من عمره . رافق سيف الدولة في حروبه للروم ، وتذكر الروايات أنه أُسر في يوم من أيام شوال سنة ٣٥١هـ عندما كان عائدا من الصيد مع غلمانه وإذ بكتيبة من الروم تباغته فيدافع إلى أن تثخنه الجراح ، ويصيبه سهم في فخذه يبقى في نصله ، ويُؤسر البطل المغوار ويودعه الروم حصنًا على الفرات يدعى (خرشنة) ثم يُنقل إلى القسطنطينية (الفاخوري، ١٩٩٩،٤٣٠) ويطول الأسر أربع سنوات فتكثر فيها أشعار أبي فراس إلى سيف الدولة الذي تباطأ في أمر فدائه ، وإلى أمه وأصدقائه وإخوانه مؤملا فيهم الإسراع بفدائه وقد بلغت هذه القصائد مائة واثنتي عشرة قصيدة ومقطوعة (سويلم،١٣٠،١٩٩٥) .

الموسيقى الشعرية في شعره يتألف الشعر من كلمات تنتظم فيما بينها انتظاما مخصوصا تبعا لتعاقب الحركة والسكون مما يصنع للشعر وزنه المميز وإيقاعه الخاص (عصفور،١٩٩٥،٣٦٧) فكل تجربة تفرض وزنها الخاص ، كما تفرض كيفية خاصة في تشكيل الإيقاع ، وإذا كان الوزن الشعري ينبع من تآلف الكلمات في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية فإن القصيدة ــ في هذه الحالة ــ تستمد إيقاعها من مادتها أي من اللغة ومن ثم يمكن القول إن الوزن الشعري هو إحدى الوسائل المرهفة التي تمتلكها اللغة لاستخراج ما تعجز عنه دلالة الألفاظ(عصفور،١٩٩٥،٤٠٢)إن أبا فراس وهو يصور حاله في أسره شعراً ، يعتمد على المفردات الموحية المرتبة ترتيباً خاصاً ، يعتمد أحيانا على الجناس أو الموازنة ، وأحيانا على دلالات الألفاظ والمعاني المعبرة عنها هذه القصائد التي قالها في أسره لها علاقة وثيقة بانفعال الشاعر ، بحيث تتولد من تلاحمها خصائص جمالية موسيقية لتلك النصوص ولاريب أن هناك علاقة وثيقة بين انفعال الشاعر وانتقاء مفرداته وكيفية تركيبها وضمها ومن ثم فإن التراكيب تحدث موسيقى تعزز الأثر الناتج عن القصيدة ككل ، والذي تتجلى ملامحه في عمق تأثيره في المتلقي ، فإذا كان الانفعال هو مبعث أبو فراس لاختيار كلمات أسرياته لتعبر عنها ، فالظروف التي عاشها في أسره جعلته يتخذ من الشعر وسيلة للخلاص النفسي من توتره الدائب بينه وبين جدران الأسر ، مما جعل أسرياته تنبىء بموسيقى متجددة ناتجة عن التناغم بين ألفاظه التي وفق في اختيارها مناسبة لوزن يناسب حاله التي يعيشها .

المبحث الأول : القافـــــــية :

هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري وهي إما بعض كلمة ، أو كلمة وبعض أخرى أو كلمتان (خفاجي، ١٩٩٤،٣٧١) تعد القافية منطلقا أساسيا عند تحليل القصائد لأن الكلمة الأخيرة في البيت الشعري سيطرت على هيكلية التركيب وهي ذات قيمة

أسلوبية إذ يتجلى فيها تصوير المعاني وإيقاعاتها النفسية .فللقافية أثر في موسيقى الشعر ، فهي نغمة منساقة ينتهي بها البيت الشعري ، ومن ثم أبيات القصيدة كلها . هذه النهايات اللفظية التي يجعلها الشاعر خاتمة لأبياته إنما تنمّ في حقيقة الأمر عن نفسيته ، فهي ضرب من التناغم بين الإيقاع النفسي ، والإيقاع اللفظي . نجد أبا فراس في أغلب أسرياته ((يوصل حرف الروي بهاء متحركة أو ساكنة وأحيانا يجعلها هي حرف الروي))(المجذوب،١٩٩٧،٦٥) كما في قصيدته (الحمداني،١٩٩٥،١٤٣) :

يـا حَســرَةً مـا أَكـادُ أَحمِلُهـا آخِـرُهـا مُــزعــجٌ وَأَوَّلُــهــا

عَلـيــلَــةٌ بِـالــشَـآمِ مُــفــرَدَةٌ بـاتَ بِأيدي العدى مُعلِلُها

تُمسِكُ أحشاءَهـا على حـرق تُطفِئُـهـا والهُمـومُ تُشعِلُهـا

إذا اطمَأَنَّـت وَأَينَ أَو هَـدَأت عَنَّـت لَهـا ذُكــرة تُقَـلـقِـلُهـا

يا مَن رأى لي بِحِصنِ خِرشَنَةٍ أُسد شَرىً في القُيُود أرجُلُها

فقد أحس الشاعر بالانكسار الداخلي الذي ارتسم واضحا في البنية اللفظية ككل وفي قافية القصيدة بشكل خاص ، فالقافية فيها ذات دلالة خاصة ، ((الهاء الممدودة أشبهت الآهات مما يناسب جو الانفعال العام ، فإذا نظرنا إلى اللام قبلها وما فيها من لين ازداد الوقع تعبيرا عن الحالة النفسية)) (الجندي،١٩٨٦،٤١٢)فجاءت ألف الاطلاق نفاذا للضمير (ها) ، والضمة أحسن مجرى يسبقها(المجذوب،١٩٩٧،٧٠) فحقق الروي والقافية جمعاء للشاعر ما يريده بالضبط . ومن عناية الشاعر باختيار قوافيه قصيدته التي يقول فيها(الحمداني، ١٩٩،١٤٨) :

مُصـابي جَليـلٌ والعَــزاءُ جَميـلُ وَظَنّـي بِأَنَّ الله سَــوفَ يُديــلُ

جِـراحٌ تحاماها الأُساةُ مَخوفَـةٌ وَسُـقمـانِ بـادٍ مِنُهما وَدَخيـلُ

وَأَســرٌ أُقــاسيــهِ وَلَيـلٌ نُجومُــهُ أرى كُلَّ شَـيءٍ غَيَـرهُـنَّ يَــزولُ

تَطولُ بيَ الساعاتُ وهَي قَصيرةٌ وَفي كُلِّ دَهـرٍ لا يَسـرُّكَ طــولُ

اختار الشاعر (اللام) رويا لها ، واللام من أحلى القوافي لسهولة مخرجها وكثرة أصولها في الكلام من غير إسراف (المجذوب،١٩٩٧،٤٦) ومن ذلك أيضا قصيدته التي يقول فيها (الحمداني،١٩٩٥،٢٧) :

أيــا أمَّ الأسيـرِ سقــاكِ غيـثٌ بكُــرهٍ مِنكِ مــا لَقِــي الأسِيــرُ

أيــا أمَّ الأسيـرِ سقــاكِ غيـثٌ تَحيَّــرَ لا يُـقيـم ولا يَـسِيـر

أيــا أمَّ الأسيـرِ سقــاكِ غيـثٌ إلى من بالـفـدا يـأتـي البشيـرُ

أردف الشاعر حرف الروي بحرف مد هو (الياء) ونفسه في القصيدة السابقة ، وهذا الحرف يعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر ، وهذا واضح من خلال تكراراه لمقطع (أيا أم الأسير سقاك غيث) أكثر من مرة في القصيدة نفسها ، فقد وصل الشاعر درجة من التأزم النفسي بعد أن أحاطت به جدران الأسر ، وقسوة القيد ليصل إلى الصراخ بقواف تشمل حرف مد لتناغم طبيعة التجربة الشعرية المفعمة بالألم . ومن عنايته بقوافيه قصيدته التي يقول فيها (الحمداني،١٩٩٥،٢١٧) :

أَقـولُ وَقَـد نـاحَت بِقُربي حَمـامَـةٌ أيـا جَارتـا هل تَشعُرينَ بحِـالـي

مَعـاذَ الهَوى ما ذُقتِ طارِقَةَ النَوى وَلا خَطرَت مِنكِ الهُمـومُ بِبــالِ

أَتَحمِـلُ مَحـزونَ الفُـؤادِ قَــوادِمٌ على غُصنِ نـائي المَسافَـةِ عَالِ

أيـا جَارتا ما أَنصَفَ الدَّهرُ بَينـنَا تَعالي أُقـاسِـمـكِ الهُمـومَ تَعـالي

تَعالي تَـري رُوحا لــديَّ ضَعِيفةً تَـردَّدُ في جِســمٍ يُعــذِّب بَــالِ

أَيَضحكُ مأسورٌ وتَبـكي طَلِـيقةٌ وَيسكتُ مَحـزونٌ ويـنـدب ســال

لَقَد كُنتُ أَولَى مِنكِ بالدَّمعِ مُقلةً ولَكِنَّ دَمـعي في الحــوادثِ غــالِ

نجد أن الشاعر استعان في قافيته بالياء المتبوعة بألف الاطلاق ، والتي تخرج من الأعماق مع جهرة فيها ليتم سماع الألم الذي يمر به الشاعر ، وتناسب تأوهه وتنقل هديره من الخواطر المتدفقة إلى الملتقي الذي يجد نفسه مدفوعا إلى الانفعال مع الموقف والتأثر به .

يلاحظ في أسريات الشاعر أن بعضها فيه إشباع لحركة حرف الروي كما في قصيدته فنراه يقول(الحمداني،١٩٩٥، ١٢٣) :

وهَـا أنَـا قد حَلى الزَّمـانُ مَفارِقي وتـوَجني بالـشيـبِ تـاجـا مرصعـا

فلـو أنَّنـي مُكنتُ مِـمَـا أريـده ... مِـن العيش يوما لم يجد في موضعا
أما ليلـة تمـضي ولا بعض ليـلة ... أُسِّـــرُ بـهـا هـذا الفـؤادَ المُفجعَـا
أمَـــا صَاحِـبُ فَـردٍ يَـدومُ وفـاؤه ... فيَصُفِي لمِن أصْفى وَيَرعى لِمن رَعى
أَفـي كُـلِّ دارٍ لـي صَديـقٌ أوَدُّهُ ... إذا مَـا تَفـرقْنَـا حِفِظْـتُ وضـيعـا
أقمت بأرض الروم عامين لا أرى ... مِـن النَّـاس مَحـزونـاً وَلا مُتصنِعَـا
إَذا خِفتُ من أَخوالِي الرومِ خُطّةً ... تَخُوفـتُ من أعمامي العَـرب أَربَعـا

وقصيدته التي يقول فيها (الحمداني،١٩٩٥،٢٠٢) :

إِنْ زُرتُ خَـرشَـنـةَ أَسِـيـرا ... فَـلـكَـمْ أَحـطْـتُ بِـهـا مُـغِيـرا
ولَـقَـد رَأيـْتُ النَّـارَ تَـن ... تَـهِـبُ المَـنَـازِل والـقُـصـورا
ولَـقَـد رَأيْـتُ السبي يَـج ... لِـبُ نَـحـونـا حُـوّاً وحُـورا
نَـختـارُ مِـنـهُ الغـَادة ال ... حَـسنَـاء والـظَّبـي الـغَـريـرا
إِنْ طَـال لـيـلـي فـي ذُرا ... كَ فَـقـد لَـقِـيـتُ بِـك السُّـرورا
ولَـئِـن رُمـيـتُ بِـحَـادِثٍ ... فَـلَأَلْـفَـيـنَ لـهُ صَـبـُورا
صَـبْـراً لَـعـلَ الله يَـف ... تَـحُ هَـذِه فَتـحَـاً يَـسِيـرا

وفر الإشباع لحركة حرف الروي في القصيدتين نغمة ملائمة جعلت الوقف ليناً رشيقاً ، ودلت على الراحة وحسن الانتهاء ، لاسيما وأن الشاعر يجد في قصائده خليلاً لا يمله ، يبثه أحزانه وأشجانه ، وينطلق معها حراً نخلص من هذا إلى القول بأن أبا فراس وهو يضع خاتمة لأواخر أبيات قصائده كان شديد الحرص على أن لا يقع فيها إلا ما يكون له موقع في النفس ، كالممدود ، وإشباع حركة حرف الروي ، اللذان يشعران المتلقي بتأوه الشاعر والمه الدفين ، فهو يُؤثر القوافي المطلقة إحساسا بالحرية المخيلة ، ويؤثر أصوات اللين لأنها تترك أثرا بالامتداد والبطء بما يتلائم والحالة النفسية للشاعر إضافة إلى أن قوافيه تلائم ألفاظ البيت الشعري ولا يستعان على فهمها بالمعاجم .

المبحث الثاني : التصـــــــــريـــــــــع :

هو إيقاع على مستوى أفقي يخلق تناغماً داخلياً حرصاً من الشاعر على ضمان التسلسل الصوتي في قصائده ((وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعرف قافيتها وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام)) (ابن الأثير ،١٩٣٩،٢٩٥) ، والتصريع ((كأنه جمع بين رويين وقافيتين ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة)) (القيرواني ،١٩٩٦،٢٩٣) إلا أن أبا فراس وهو يخاطب بشعره الوجدان البشري ، ويحرك كوامنه يعتمد على تصريع أغلب قصائده في الأسر ، فالقارىء يتوقف عند نهاية صدر البيت وعجزه ، وهذا التوقف يستدعي أن تكون الكلمة التي ينتهي بها صدر البيت مؤثرة تلائم الكلمة التي ينتهي بها العجز ، فهي تصوير لانفعالات الشاعر التي تلائم طبيعته ، وهي صدى العواطف التي تؤديها ، ففيه دليل على قوة طبع الشاعر وكثرة المادة اللغوية عنده ، وقد اعتمد أبو فراس تصريع مطالع أغلب أسرياته لأن المطلع محل التأنق وإظهار جودة الذهن ومحل التأثير فتدرك الأذن قصد الشاعر وحسه النفسي . وإذا كان لابد من علة تتصل بالنفس الشاعرة فعلة أبي فراس ـــ حسب رأينا ـــ أنه يطرق الآذان بذلك التصريع تنبيهاً للنفس وإيقاظاً للشعور . فالشاعر يرسم شعره بضمير المخلص لتجربته، ويتناول الشعر بعبقرية ظاهرة في نظمه لقصائده فيكون التصريع جزءا من تلك العبقرية ، يتخطى كونه مجرد تنفيس لفظي ، وزينة خارجة عن المعنى ليكون ناتجاً عن عمق تجربة الشاعر يصحبها نشاط وجداني تظهر من خلاله نهايات مصراعي الأبيات متوافقة متوازية تسير على خطى الآم النفس ، هذا وتتجلى من خلال التصريع في أسرياته محاور نفسية متعددة ، أهمها :

١ ـ يقصد الشاعر من خلال تصريعه لمطالع قصائده التأثير في المتلقي ولفت انتباهه للحالة التي يعانيها الشاعر فنراه يقـــول : (الحمداني،١٩٩٥،٥٨)

أَقنَـاعَةً مِن بَعـدِ طُـولِ جَفـاءِ ... بِدُنُـوِ طَيـفٍ من حَبيـبٍ نـاءِ

ويقول :(الحمداني،١٩٩٥،٧٣)

أمَـــا لِجَميـلِ عِندكُـن ثَـــواب ... وَلا لِمُسـيءِ عِندكُـــن مَتـــاب

ويقول: (الحمداني،١٩٩٥،١٠٠)

دَعُوتكَ للجَفــنِ القَريحِ المُسهدِ لَــدي وللنَــومِ القَليـلِ المُشَـردِ

فقد صرع شطري مطالع القصائد للتأثير في المتلقي بما يلائم غرض القصيدة .

٢ــ إبراز موسيقى البيت في الصدر والعجز ، ويختار له أبو فراس القصائد التي تأتي عروضها على روي الضرب وصوته كما في مطلع قصيدته: (الحمداني،٢٠٢،١٩٩٥)

إنْ زُرتُ خَـرشنــةَ أَسِيــرا فَلَكـَم أحَـطـتُ بِهـــا مُغِيــرا

وقوله: (الحمداني،١٤٣،١٩٩٥)

يَـا حَـسـرةً مَـا أَكــادُ أَحمِـلُهـَا آخِــرُهــا مُـزعِـجٌ وأَولُـهَـا

٣ ــ يجنح أبو فراس إلى تصريع بعض قصائده بسبب تداعي المشاعر النفسية أمام مخيلته الراصدة فتتداعى لها المعاني ليختار ألفاظ متناسقة مصرعة يودعها صدر البيت وعجزه ، فنراه يقول: (الحمداني،١٤٨،١٩٩٥)

مُصَابِي جَليـلٌ والعَـزاءُ جـميلُ وَظنِّـي باللهِ سَــوفَ يَـديــلُ

نلاحظ أن التصريع قد أسهم في إضفاء موسيقى جميلة على مطالع القصائد الشعرية التي تبرز فيها معاناة الشاعر والآمه النفسية الدفينة جراء الغربة والأسر .

المبحث الثالث : الـــبـــحـــــــــر :

كان أبو فراس في أسرياته دقيق التعبير عن ذاته ، فجاءت أغلب قصائده كاملة المعاني ، مستوفية لأجزائها البسيطة والمركبة على المستوى التركيبي ، ومستوى الصورة الفنية ، ولكن هذا الكمال يزداد قيمة عندما يختار له أبو فراس بحوراً لها علاقة بنفسيته المتألمة التي تتوق للتعبير عما يختلج في داخلـها بشتى الطرق المؤثرة ، أو بالأحرى حالته النفسية هي التي فرضت عليه هذا الاختيار فـ ((تُشاكل الأوزان حالات النفس المتعددة ، فهي تقوم على التأليف بين الأصوات ومحاكاة حالات النفس في آن واحد)) (عصفور،٤٠٤،١٩٩٥) فأبو فراس في أسرياته طرق أغلب بحور الشعر العربية المتداولة ، ونظم منها أكثر قصائده الطويلة والقصيرة إلا أنه يحفل بالأوزان الطويلة ، فقد كان أبو فراس في أسرياته ذا نزعة خطابية ((استتبعت بالضرورة اصطناع الشاعر للأوزان الطويلة في صورتها الكاملة حتى يتحقق الإشباع الصوتي عن هذا الطريق)) (اسماعيل،٤١٤،١٩٩٤) . فإذا كان لكل ((وزن من الأوزان خصائص تميزه عن غيره وتجعله قادراً على محاكاة انفعالات بعينها وبالتالي إلى إثارتها فيمن يتأثر بكيفية التناسب الصوتي للوزن)) (عصفور،٤٠٤،١٩٩٥) فإن أبا فراس يستند إلى البحور الطويلة الممتدة التي تناسب الغرض الذي يرمي إليه ، وبالتالي تتفق وشدة الحزن الذي يعانيه ، ويتيح له التعبير عن أحزانه ، فهو يشعر بذل الأسر ، وانسحاق القيد فتهين نفسه وتفيض بالشكوى والأسى ، وتستفيق في نفسه ذكرى أمجاده الماضية فيُنشيء قصائده بأسلوب قصصي خطابي يستدعي وزناً ملائماً لذلك الأسلوب فـ ((يختار وزناً من الأوزان الطويلة ليعبر من خلاله عن حالة من حالات الحزن))(اسماعيل،١٩٩٤،ص٨٠) . ويبدو أبو فراس ذو اهتمام كبير بالبحر الطويل فهو ((يمتاز بدرجة عالية من التوتر الداخلي ويرتبط اختياره بحالة نفسية دون أخرى)) (أبو ديب،٣٥٧،١٩٨٤) فهو يناسب حالة الشاعر ، لأن الامتداد والطول اللذين في وزن الطويل يتفقان مع حزن الشاعر وكل ما يتصل بالحزن من فشل وعجز وشعور بالضعف يعبر عن الإعياء فيناسبه البحر الطويل في تلائم بين وزنه وبين الفتور الذي يعانيه الشاعر ، فيهلهل نفسه ويحطم قواها ، وقد أختار أبو فراس البحر الطويل لعدد ليس قليلا من أسرياته التي يعالج فيها موقفه مع ذاته ، والتي يستند فيها إلى الحوار وهو ما يستدعيه الأسلوب القصصي الذي تدور القصائد في فلكه ، فنراه يقول (الحمداني،٢٣،١٩٩٥)

أَراكَ عصيَّ الدَّمـعِ شِيمتُكَ الصَّبـرُ أَمـا للهَـوى نَهـيٌ عَليـكَ ولا أمــرُ

ويــقــــــول:(الحمداني،١٠٠،١٩٩٥)

أَقـولُ وَقَـد نـاحَت بِقُربي حَمـامَـةٌ أيـا جَارتـا هل تَشعُرينَ بحِـالي

ويــقــــــول : (الحمداني،١٩٩٥، ٢١٨)

أبَـى غَـربُ هَـذَا الـدَّمَـعِ إلا تَسَرُّعَـا ومَكنونُ هَـذا الحُـبِّ إلاَّ تَـضوُّعَـا

فقد أختار أبو فراس لهذه القصائد وزن البحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن) لأنه ((ذو توتر داخلي ذاتي ، يقدر الشاعر الخلاق أن يعمق مداه ، ويرفعه إلى درجة يصبح معها التفسير الشعري مستمداً وارتداداً دائماً بين طبقتين إيقاعيتين ثقلاً وخفة ، انهياراً داخلياً ، وتماسكاً يخلقه

الإباء الأصيل)) (أبو الديب،١٩٨٤،٣٥٩). فقد كان أبو فراس يحس التوتر الداخلي لذلك البحر والدليل إسهابه في النظم على وزنه . ومن نظمه على الأوزان الطويلة يقول من البسيط : (الحمداني،١٩٩٥،٢٠٦)

أوصيكَ بالحُزنِ لا أوصيـكَ بِالجَلَدِ جَلَّ المُصابُ عَنِ التَعنيفِ والفَندِ
إنّـي أُجِـلّـكَ أن تُـكـفـى بِتعَـزيـةٍ عَن خَيـرِ مُفتقـدٍ يَـا خَير مُفتَقـدِ
هِيَ الـرَزيَّةُ إن ضَنَّت بِمَـا مَلـكَت مِنهَا الجُفُونُ فَما تَسخُو على رَحَدِ
بي مثل ما بك من حزن ومن جزع وَقَـد لَجـأَت إِلى الصَّبرِ فَلم أَجِـدِ

فالحزن والأسى الذي عاناه الشاعر ليس من نوع واحد أو درجة واحدة فهو حزن هادىء ــ كما في القصائد المنظومة على البحر الطويل ــ وحزن ثائر ــ كما في قصائده من البحر البسيط ــ ليكون أقرب إلى الصرخات الحادة التي يعانيها .((فرقة البحر البسيط من النوع الباكي تظهر في كل ما يغلب عليه عنصر الحنين والتحسر على الماضي)) (المجذوب،١٩٩٧،٤٧٤)ونراه يقول من بحر المنسرح : (الحمداني،١٩٩٥،١٣٤)

يـا حَسـرَةً مـا أَكـادُ أَحمِلُهـا آخِـرُهـا مُـزعِـجٌ وَأَوَّلُـهـا
عَلـيـلَـةٌ بِـالـشَـآمِ مُـفـرَدَةٌ بـاتَ بِأيدي العدى مُعلِلُها
تُمسِكُ أحشاءَهـا على حـرق تُطفِئُـهـا والهُمـومُ تُشعِلُهـا

((فعلى الرغم من أنه وزن جاف في الأصل فأنه في هذه القصيدة منساق انسياقا طبيعياً مع الإحساس والنغم)) (الجندي،١٩٨٦،٤١٢) . ففيه ثورة نفسية عميقة نظمت في طول نفس تبعاً لحالة الشاعر النفسية التي لا يشك أحد في أنها حزن عميق . ويقول من الكامل : (الحمداني، ١٩٩٥،٥٨)

أَقنَـاعَةً مِن بَعـدِ طُـولِ جَفـاءِ بِدُنُـوِ طَيـفٍ من حَبيـبٍ نـاءِ
بَـأبِي وأُمِّي شَـادِنٌ قُلـنَـا لـهُ نَـفـدِيـكَ بـالأمَّـاتِ و الآبـاءِ
رَشَـأٌ إذا لَحَـظَ العَفيـفَ بِنَظـرةٍ كَـانت لـهُ سَبَبـاً إلى الفَـحشـاء

ونراه يقول من الوافر: (الحمداني،١٩٩٥،٢٧)

أيـا أمَّ الأسيـرِ سقـاكِ غيـثٌ بكُـرهٍ مِنكِ مـا لَقِـي الأسِيـرُ
أيـا أمَّ الأسيـرِ سقـاكِ غيـثٌ تَحَيَّـرَ لا يُـقيـم ولا يَـسِيـر
أيـا أمَّ الأسيـرِ سقـاكِ غيـثٌ إلـى من بالـفدا يـأتـي البـشيـرُ

فهذا البحر ((يلائم تداعي المعاني في ذهن الشاعر لأن عجزه سريع اللحاق بصدره)) (المجذوب،١٩٩٧،٣) . هذا وتتميز كل هذه البحور بأوزان طويلة تشتمل على مدات تناسب الإعياء والاسترخاء الذي يحل بجسده نتيجة الصدمة ، فتلهث بأنفاس حائرة ممتدة ، فهو حزين ، والحزين لا يملك القدرة ولا يتمكن من العزيمة القوية التي تأبى هذا الاسترخاء فيسرع ويقطع السير حثيثاً إلى السرعة والملاحقة التي تظهر في وزنين: الكامل والوافر اللذين يناسبان انطلاق النفس القوية ووثباتها المتقاطعة . نخلص إلى القول بأن أسريات أبي فراس نظم أغلبها على البحور الطويلة التي تنسجم مع حالته والواقع الذي كان يعانيه مع تقلباته التي يحياها وسط جدران توكله إلى نفسه وشعره ، فيرجع صدى نفسه في بحور الشعر التي اختارها مجرىً لألفاظه الشعرية لا على صعيد نظري صرف ، بل يتم في أوزان خاصة نابعة من الأبعاد الدلالية للتعبير ، ومرتبطة بحالة نفسية دون أخرى .فأبا فراس يحفل بتنوع أوزان شعره على الرغم من أن الغرض يكاد يكون واحداً ، فقد اختار الطويل لأسمى أشعاره وأرفعها جميعاً وأقيمها من الناحية الفنية وأبلغها في التأثير ، وأحفل بالبحر البسيط ((لما فيه من ملائمة للعنف والكلام الصارخ فنجده ينظم على وزنه قصائد العتاب وشكوى الدهر وشكوى الناس)) (المجذوب،١٩٩٧،٤٧١). من هنا تلائم وزن البحرين مع حالة الشاعر التي لا تكاد تخلو من أحد النقيضين : العنف أو اللين اللذان يناسبهما وزنا البحرين . أما بحر الكامل ((يناسب وزن البحر الكامل الحكمة والتأمل ــ مهما كانت مناسبتهما ــ فهما يحتاجان إلى هدوء وتؤدة)) (المجذوب،١٩٩٧،٢٦٤). تمثلت تمثلا كاملا في حالة أبي فراس لينسج قصائد على وزنه يلائم تأمله في حاله وما آل إليه من أسى وحزن . فقد وجد أبو فراس في هذه الأوزان معيناً له على وصف حاله وإبرازها بشكل مؤثر يدعو القارىء لمشاطرة الشاعر أشجانه وحالته النفسية التي كان يعيشها.

الخـــاتـــمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين ، وعلى من اهتدى بهداه إلى يوم الدين أما بعد :

إن دراسة أسريات أبي فراس الحمداني ليست ترجمة لحياته في الأسر في حدودها من السعة أو الضيق وفي مقدارها من الضخامة أو الضمور ، إنما هي ترجمة نفس وفكر واشتغال خيال فيجد القارىء نفسه ــ في شعر أبي فراس ــ أمام مادة تشده فقد جعل من القصائد قوالب لسكب معاني الألم في صورة متسلسلة تمثلت في مفردات شعرية موحية اتخذ منها الشاعر صورة وإطاراً يومئان أو يشيران إلى الصدق الذي يرمي إليه في تصوير معاناته . نقرأ شعره فنرى أن الكلمة ترمي إلى غرض ، والجملة تتخذ من الكلمات مادة صورتها وألوانها فنحس بأننا إزاء صور إنسانية يحياها أبو فراس فتنبثق منه صوراً حية في سياقات متدافعة تجنح ــ تبعا لوهن نفسية الشاعر ــ إلى اللين وتحتدم قوتها تبعاً لانفعاله .

هذا التصوير لمعاناته تخطى حدود المفردة وامتدت خيوطه النفسية إلى الصور الفنية الملائمة للعاطفة ، والتي تطمئن إلى مكانها في تضاعيف قصائده لتخاطب الوجدان البشري وتحرك كوامنه ، بفضل مضمونها متلون بألوان عاطفية ، مرتبطة بالوجدان على نحو مباشر أحياناً ورمزي أحياناً أخرى .

فتحولت حياته في أسره إلى تجربة شعرية اشترك فيها قلبه وخياله ولسانه ونفسيته لتخلق جميعا ثمرة معاناته في لوحة نابضة بألوان ناضرة لا تموت ، تنهار أمامها مقاومة القارىء في الاشتراك الوجداني مع الشاعر الذي وفق في الربط بين عالمه الداخلي المتسم بالقلق ، وبين العالم الخارجي المتمثل في قيود متعددة أقلها وأقربها (سجن خرشنة) فاختار الشعر وسيلة للخلاص النفسي من توتره الدائب بينه وبين جدران الأسر هذه الدراسة جعلتنا نضع أيدينا على جوانب مهمة في شاعرية أبي فراس خلال فترة أسره ، والتي يمكن قراءتها كالآتي :

١ــ الشعر الوجداني الخالص الذي سطع بريقه من الأسر ، فكان السلوى للشاعر ، وأداة خلود للأدب الوجداني على مر العصور .

٢ــ النظرة التأملية في شعره التي لا تبارحه ، لتنم عن فهم عميق لواقعه وسبر غور لما يدور في نفسه .

٣ــ إن أبا فراس وهو يضع خاتمة لأواخر أبيات قصائده كان شديد الحرص على أن لا يقع فيها إلا ما يكون له موقع في النفس ، كالممدود ، وإشباع حركة حرف الروي ، اللذان يشعران المتلقي بتأوه الشاعر والمه الدفين .

٤ــ اكثر أبو فراس من استخدامه للأوزان الطويلة (كالطويل والبسيط والكامل) التي لها علاقة مباشرة بالحالة النفسية التي عاشها الشاعر في الأسر من مقاساة ولوعة وفراق .

٥ــ يستطيع أي باحث أن يستمر في هذا البحث ، وأن يمد حلقاته وأطنابه إلى اتجاهات جديدة في نفسية الشاعر وعقله ، خاصة بعد إجماع أكثر النقاد على أن شعره في الأسر جدير بالدراسة يلقى دون شك قبولاً في النفس ، فالتقاء العقول والآراء على أمر واحد يعني أنه جدير بالاهتمام .

المصـــادر والمـــراجع

١ــ القاضي ، النعمان عبد المتعال ،(١٩٨٢)، أبو فراس الحمداني : الموقف والتشكيل الجمالي ،الأردن دار الثقافة للنشر والتوزيع .

٢ــ أبو ديب ، كمال ، (١٩٨٤) ، البنية الإيقاعية للشعر العربي (نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن) ، ط١، لبنان ، دار العلم للملايين

٣ــ اسماعيل ، عز الدين ،(ب،ت) ، التفسير النفسي للأدب ، ، دار العودة ، بيروت

٤ــ الحمداني ، أبي فراس ، (١٩٩٥) ، الديوان ، قدم له وشرحه : علي أبو ملحم ، ط١ ، بيروت ، دار الهلال

٥ــ الجندي ، إنعام ، (١٩٨٦) ، الرائد في الأدب العربي ،ج١، بيروت دار الرائد .

٦ــ سويلم ، أحمد ، (١٩٩٥) ، شعراء العمر القصير، ط١ ، بيروت ، أوراق شرقية للطباعة والنشر.

٧ــ ضيف ،شوقي ، (ب،ت) ، عصر الدول والإمارات (الشام) ، ط٢ ، بيروت ، دار المعارف .

٨ــ القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، (١٩٩٦) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، حققه صالح الهواري وهدى عودة ، ط١ ، ج١ ، الأردن ، دار مكتبة الهلال .

٩ــ البصير ، محمد مهدي ، (١٩٥٥) ، في الأدب العباسي ، ط٢، بغداد ، دار النشر مطبعة السعدي .

١٠ــ اسماعيل ، عز الدين ، (١٩٩٤) ، في الأدب العباسي (الرؤية والفن) ، بيروت ، دار النهضة .

١١ــ خفاجي ، محمد عبد النعم ،(١٩٩٤) ، القصيدة العربية عروضها في القديم والحديث ، القاهرة ، المكتبة الأزهرية .

١٢ـ ابن الأثير ، ضياء الدين ، (١٩٣٩) ، (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، قدم له وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ،ج١ ، القاهرة ، دار النهضة .

١٣ـ المجذوب ، عبد الله الطيب ، (١٩٩٧) ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج١، الخرطوم ، الدار السودانية .

١٤ـ عصفور، جابر أحمد ، (١٩٩٥) ، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي) ، ط٥ ، القاهرة ، دار الثقافة .

١٥ـ الفاخوري ، حنا ، (١٩٩٩) الموجز في الأدب وتاريخه ، ، ط١ ، المجلد الثاني ، بيروت ، دار الجيل .

Sources and references

- Al-Qadi, Al-Nu'man Abdul Mut'al, (1982), Abu Firas Al-Hamdani: Attitude and Aesthetic Formation, Jordan House of Culture for Publishing and Distribution.
- Abu Deeb, Kamal, (1984), The Rhythmic Structure of Arabic Poetry Towards aRadical Alternative to the Hebron Prose An Introduction to Comparative Rhythm), 1st edition, Lebanon, Dar Al-Ilm Lil-Millain
- Ismail, Ezz El-Din, (B, T), Psychological Interpretation of Literature, Dar Al-Awda, Beirut.
- Al-Hamdani, Abi Firas, (1995), Al-Diwan, presented and explained by: Ali Abu Melhem, 1st edition, Beirut, Dar Crescent .
- Al-Jundi, Inaam, (1986), Al-Raed in Arabic Literature, vol. 1, Beirut, Dar Al-Raed.
- Sweilem, Ahmed, (1995), Poets of the Short Life, 1st edition, Beirut, Oriental Papers for Printing and Publishing.
- Deif, Shawqi, (B, T), The Age of States and Emirates (The Levant), 2nd edition, Beirut, Dar Al-Maaref.
- Al-Qayrawani, Abu Ali Al-Hasan bin Rashiq, (1996), The Master of the Virtues of Poetry and its Etiquette, verified by: Saleh Al-Hawari and Hoda Odeh, 1st edition, vol. 1, Jordan, Al-Hilal Library House.
- Al-Basir, Muhammad Mahdi, (1955), in Abbasid Literature, 2nd edition, Baghdad, Al-Saadi Press Publishing House.
- Ismail, Izz al-Din, (1994), in Abbasid Literature (Vision and Art), Beirut, Dar al-Nahda.
- Khafaji, Muhammad Abdel Na'am, (1994), The Arabic Poem and Its Presentations in Ancient and Modern, Cairo, Al-Azhar Library .
- Ibn al-Atheer, Diya al-Din, (1939), (The Proverb in the Literature of the Writer and the Poet), presented to him and commented By: Ahmed Al-Hofy and Badawi Tabana, vol. 1, Cairo, Dar Al-Nahda.
- Al-Majzoub, Abdullah Al-Tayeb, (1997), The Guide to Understanding and Making Arab Poetry, Part 1, Khartoum, Sudanese House.
- Asfour, Jaber Ahmed, (1995), The Concept of Poetry (A Study in Critical Heritage), 5th edition, Cairo, House of Culture.
- Al-Fakhouri, Hanna, (1999) Al-Mawjaz fi Al-Adab and its History, 1st edition, Volume Two, Beirut, Dar Generation.